ملخّص ما بين واقعين واقع الدنيا وواقع الدين (ح٢٩) / عبد الحليم الغزّي
المذهب الطوسي (ج١٠)
معالم المذهب الطوسي (ق٦)
الاربعاء : ٢٧/ربيع الثاني/١٤٤٤هـ - الموافق ٢٣/١١/٢٠٢٢م

الجزءُ العاشرُ من عُنواننا الـمُتقدِّمِ في الحلقاتِ الماضية: "**الـمَذْهَبُ الطوسيّ**".
• أنتقلُ في هذه الحلقة إلى الْمَعْلَمِ الثاني من مَعالِمِ الـمَذْهَب الطوسي: "**نقضُ أصلِ العقيدةِ الـمُحَمَّديَّةِ العَلَويَّة**".
العقيدةُ الـمُحَمَّديَّةُ العَلَويَّةُ تبتني على أصلٍ واحد.
الـمَذْهَبِ الطوسي يتبنَّى أنَّ الدِّينَ لهُ خمسةُ أصول.
أصولُ الدِّينِ الخمسة الَّتي نعرِفُها مُنذُ صغَرنا، أجدادُنا آباؤنا أُمَّهاتُنا كُلُّ الشيعةِ يقولونَ من أنَّ الدِّينَ لهُ أصولٌ خمسة، هذه الأصول الخمسةُ: (التوحيدُ، العَدْلُ، النُبوّةُ، الإمَامَةُ، الْمعاد)، هذه هيَ الأصولُ الخمسةُ للدِّين بحسبِ حوزةِ النَّجف، مَنظومةُ العقيدة هذه هي ناقضةٌ لأصلِ وأساسِ الدِّيانةِ الـمُحَمَّديَّةِ العَلَويَّة، الدِّينُ عندَ مُحَمَّد وعليٍ صلّى اللّهُ عليهما وآلهما لهُ أصلٌ واحد.
هذه الأصولُ جاءَنا بها هذا الـمَذْهَب منَ الأشاعرة والمعتزلة؛
أصولُ الدِّينِ عندَ الأشاعرة: (التوحيدُ، النُبوّةُ، الْمَعاد).
المعتزلةُ يُضيفونَ أصلاً إلى أُصولِ دينِهم يختلفونَ فيه عن الأشاعرة وهُو (العَدْل)، وإلَّا فإنَّ العَدْلَ هو من ضمن التوحيد، أنْ نجعلَ العَدْل بمعزلٍ عن التوحيد هذا يعني أنَّ التوحيدَ علمياً منهجياً ما هو بتوحيد، كيفَ نُعنونُ التوحيدَ بعنوان التوحيد ولا يوجدُ ضِمنَ المحتوى العِلمي للتوحيدِ لا يوجدُ معنى العَدْل؟! أن نُعنونَ العَدْلَ أصلاً برأسه! لأنَّ التوحيدَ من دُونِ عدلٍ ما هو بتوحيد.
لكنَّ الطوسي فعلَ ذَلكَ تأثُراً بالمنهجِ الإعتزالي، هُو جمعَ بينَ أصولِ الدِّينِ عندَ الأشاعرةِ والمعتزلة وأضافَ إليها أصلَ الإمامة، وإلَّا فإنَّ في ديانةِ مُحَمَّدٍ وعليٍ صلّى اللّه عليهما وآلهما هُناكَ أصلٌ واحد وهو (الإمام).
ستقولونَ بحسبِ تربيتكُم النَّاصبيّة الطوسيّة: إذاً أينَ التوحيد؟ فكيفَ يكونُ الإمامُ أصلاً؟ أينَ اللّه؟!
التوحيدُ يا أيُّها الأغبياء الثولان ما هُوَ اللّه، التوحيدُ فكرةٌ عن اللّه نأخُذها من المعصوم لا نأخُذُها من الطوسي، ولا نأخُذُها من عَمْرِ بنِ العاص، إنَّنا نأخُذُها من مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، (مَنْ أَرَادَ اللّهَ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ)، هكذا نُخاطبهُم في الزيارة الجامعة الكبيرة.
سَأُحَدِّثُكُم عن الأصلِ الواحد لديننا بنحوٍ موجز، لأنَّني أتحدَّثُ عن الطوسي وعن مَذْهَبه، وعن عقيدته الضالّة الَّتي ترتسمُ في مَنهجيّة أصولِ الدِّينِ الخمسة: الآيةُ الحاكمةُ على القُرآنِ كُلِّهِ وهي الآيةُ السابعةُ والستون بعدَ البسملة من سورة المائدة إنَّها آيةُ الغدير، هذه صريحةٌ في إثبات أنَّ الدِّينَ لَهُ أصلٌ واحد، وما التوحيدُ إلَّا من فُروعه، وما النُبوّةُ إلَّا من فروعِ ذلكَ الأصل، وحتَّى إذا أردنا أن نصطلحَ على التوحيد أنَّهُ أصل فلابُدَّ أن نقولَ عَن الإمامِ من أنَّهُ أصلُ الأصول، فإمَّا أن نصطلحَ على الإمامِ أنَّهُ الأصلِ وأنَّ التوحيدَ فرعٌ وهذا هو الَّذي جاء في رواياتهم، في رواياتهم يقولونَ: (من أنَّ التوحيدَ من فُروعنا)، يُمكنُنا أن نقولَ عن الإمامِ من أنَّهُ أصل الأصول وسائرِ العناوين تكونُ أصولاً من الدرجة الثانية، إنَّها أصولٌ فرعيّة، الآيةُ واضحةٌ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ - هذه الرسالةُ: "توحيدٌ، ونُبوّةٌ، وقُرآنٌ، ومَعادٌ، وغَيْبٌ، وشهادةٌ، وأحكامٌ، وأخلاقٌ، وفكرٌ وثقافةٌ"، هذه هي الرسالةُ بِكُلِّها تُساوي صفراً من دُونِ بيعة الغدير، بيعةُ الغديرِ تُشيرُ إلى أمير المؤمنين، بيعةُ الغديرِ شأنٌ من شؤونِ وَلايته، والوَلايةُ شأنٌ من شُؤونِ إمامته وهي من شؤونه من شؤونِ ذاته، فأصلُ الأصول هو الإمام، أمَّا الرسالةُ بِكُلِّ تفاصيلها فإنَّها تقعُ في دائرة فروعِ ذلكَ الأصل - **وَاللّهُ يَعْصِمُكَ منَ النَّاسِ** - الَّذي يُخالِفُ هذه المنظومة ما هُوَ حُكمهُ بحسبِ فتوى اللّه؟ - **إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾، منظومةُ أصولِ الدِّين الخمسة منظومةٌ كافرة.
الَّذينَ تَمسَّكوا بهذا الأصل فقط هُم الَّذينَ خَاطَبهم القُرآنُ في السورة نفسها في الآية الثالثة بعدَ البسملة: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ من دِينِكُمْ**﴾، حينما تمسَّكتُم بالأصل الواحد للدِّين، أمَّا حينما تتمسَّكونَ بالأصول الخمسةَ فإنَّكُم تنقضونَ بيعةَ الغدير - **فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ**﴾، يعني أنَّ الَّذينَ يتمسّكونَ بأصولِ الدِّين الخمسة لَم ييأس الَّذينَ كفروا من دينهم وإنَّما هُم جُزءٌ منَ الَّذينَ كفروا، هؤلاء الَّذينَ كفروا الَّذينَ كفروا ببيعة الغدير، وليسَ الَّذينَ كفروا الَّذينَ عبدوا الأصنام - **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾، الإسلامُ يبتني على أصلٍ واحد، هذا الَّذي يقولهُ مراجع النَّجف وكربلاء في رسائلهم العَمليّة من أنَّ أصولَ الإسلام ثلاثة؛ (التوحيد، النُبوّة، المعاد)، ومن أنَّ أصول الـمَذْهَب اثنان؛ (العَدْل والإمَامة)، وهُنا يقصدونَ بأصولِ الـمَذْهَب هي فروع وما هي بأصول، هُم يُعلِّمونَكُم من أنَّ أصول الدِّين خمسة لكنَّهم في الواقعِ يتعاملونَ على أساس أنَّ أصول الدِّينِ ثلاثة، أمَّا العَدْل والإمامة فَهُما من أصولِ الـمَذْهَب، الدليل: سَلوا مراجعكم الَّذي يكفرُ بالـمَعاد يُنكرُ الـمَعاد سيخرجُ من الإسلام، لماذا؟ لأنَّ الـمَعادَ من أصولِ الإسلام، الَّذي يكفرُ بالإمامة لَن يخرجَ من الإسلام سيبقى مُسلماً لأنَّ الإمامةَ ليست من أصول الإسلام وإنَّما من أصول الـمَذْهَب، فهل هذا هو في دينِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد أم هو في الـمَذْهَب الطوسي؟ هذه أصولُ الـمَذْهَب الطوسي..
في (بصائر الدرجات)، لشيخنا محمّد بن الحسن الصفّار من أصحابِ إمامنا الحسن العسكري صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه/ طبعةُ مؤسَّسة النعمان/ بيروت - لبنان/ الصفحة السادسة والأربعين/ الحديثُ الثامن من البابِ الثالث عشر، أذهبُ إلى موطن الحاجة منه، الحديثُ ينقلهُ لنا أبو حمزةَ الثمالي، عن إمامنا الباقرِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، عن رسول اللّه يُخاطبُ أمير المؤمنين: (**يَا عَلِيُّ أَنْتَ أَصْلُ الدِّين**)، منطقٌ واحد، منطقُ القُرآنِ ومنطقُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ واحد، ألا لعنةٌ على الـمَذْهَب الطوسي.
وفي القول البليغ الكامل في الزيارة الجامعة الكبيرة: (**مَنْ أَرَادَ اللّهَ بَدَأَ بِكُمْ** - أنتُم الأصل - **وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم** - أنتُم الأصل، التوحيدُ فرعٌ يُؤخَذُ منكُم - **وَمَن قَصَدَهُ** - قَصدَ اللّه - **تَوَجَّهَ إِلَيْكُم** - وحَرَّفوها "تَوَجّهَ بِكُم".
(**يَا عَلِيُّ أَنْتَ أَصْلُ الدِّين وَمَنَارُ الإِيْمَانِ وَغَايَةُ الهُدَى وَقَائِدُ الغُرِّ الْمُحَجَّلِين أَشْهَدُ لَكَ بِذَلك**)، رسولُ اللّه هو الَّذي يقولُ لهُ: (**أَشْهَدُ لَكَ بِذَلك**)، رسولُ اللّه مثلما يشهدُ أنْ لا إلَه إلَّا اللّه وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّه يَشهدُ أنَّ علياً أصلُ الدِّين، هذا كلامُ رسول اللّه، وهذا الخطابُ مثلما يكونُ لسيد الأوصياء هُوَ هُوَ للحُجَّة بن الحسن، ما كَانَ لأوّلهم - هذه بديهيّاتُ ثقافة دين العترةِ الطاهرة - ما كانَ لأوّلهم فَهُو لآخرهم، وما كانَ لآخرِهم فَهُو لأوّلهم، (أَوَّلُنَا مُحَمَّد وَأَوْسَطُنَا مُحَمَّد وَآخِرُنَا مُحَمَّد كُلُّهم مُحَمَّد صلواتُ اللّه عليهِم).

في (علل الشرائع) للصَّدوق، المتوفّى سنة (٣٨١) للهجرة، في الجزء الأوّل في الباب التاسع، الحديثُ الأوّل: **بسنده، عَن إمَامنَا الصَّادق صَلواتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيه** - يُخبِرُنا عن الحسَين، الصَّادقُ يقول: **خَرَجَ الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ عَلَى أَصْحَابِه فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ العِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوه فَإِذَا عَرَفُوه عَبَدُوه فَإِذَا عَبَدُوه اسْتَغْنُوا بِعِبَادَتِه عَن عِبَادَة مَنْ سِوَاه فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ** - من أصحابه - **يَا ابْنَ رَسُول اللّه بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّه؟** - إمامُنا الحسينُ يجيبهُ: **مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامَهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيهِم طَاعَتُه** - هذه معرفةُ اللّه - هذا هو الدِّين، كُلُّ الدِّين فيهم منهُم وإليهم صلواتُ اللّه وسلامهُ عليهم أجمعين.
هكذا نحنُ نُخاطبهُم في الزيارة الجامعة الكبيرة ونقولُ لهم: "**وَالْحَقُّ مَعَكُم وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُه**"، هذا هوَ الأصلُ الرئيس والوحيدُ لدينا، الأصلُ الرَّئيس والوحيدُ لَدينا معرفةُ إمامِ زماننا، هذا الحديثُ أنتُم تحفظونهُ: (مَن ماتَ ولَم يعْرِف إمَامَ زَمَانِه مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيّة)..

الطوسي عندهُ رسالتان عمليّتان:

الرِسالةُ العَمليّةُ الأولى وهي المشهورةُ: (النهاية)، هذه رسالةٌ عَمليّةٌ لمُقلِّديه تشتملُ على أحكام الدِّين، على الفتاوى في شؤون العبادات والمعاملات.
وعندهُ رسالةٌ عمليّةٌ ثانية؛ (الاقتصادُ في ما يجبُ على العباد)، هذه رسالةٌ عمليّةٌ ثانيةٌ للطوسي لكنَّها في الجانب العقائدي، ما يرتبطُ بأحكام العبادات، ذكرَ فيها شيئاً مُوجزاً.
طبعةُ مركزِ نور الأنوار في إحياء بحار الأنوار/ الطبعةُ الأولى/ ١٤٣٠ هجري قمري/ قُم المقدَّسة/ من صفحة (٣٣)، يبدأ الطوسي يتحدَّثُ في الشأن العقائدي في تفاصيل المعتقدات، الصفحات المُتقدِّمة هي بمثابة مُقدِّمة من مُؤسَّسة التحقيق لهذا الكتاب.
- من صفحة (٣٣)، إلى صفحة (٤٧٢)، هذا كُلُّهُ في بَابِ المعتقدات.
- من صفحة (٤٧٣)، إلى صفحة (٦٠٢) هذا في بابِ العبادات الشرعيّة.
فَفَصَّلَ الكلامَ في العقائد بشكلٍ واضح وهُو قالَها في المُقدِّمة عن هذا المختصر: **يشتملُ على بيانِ ما يجبُ اعتقادهُ ومعرفتهُ، ويَلزَمُ العملُ به والمصيرُ إليه، ممَّا لا يخلو منهُ مُكلَّفٌ في حالٍ من الأحوال** - يعني يجبُ على المكلَّفين يجبُ على مُقلِّدي الطوسي أن يعتقدوا بهذه العقائد في لَيلهم ونهارهم، هُنا أسَّس الطوسي لأصولِ الدِّين الخمسة، أسَّسَ تأسيساً واضحاً وجَلياً، في فهرست الموضوعات فإنَّهُ يُقَسِّمُ مباحثَ العقائد إلى الأقسام التالية:
- القسمُ الأوَّل: مباحثُ التوحيد، يبدأ من صفحة (٥٥) وينتهي صفحة (١٠٢).
- القسمُ الثاني: يبدأ من صفحة (١٠٣)، مباحثُ العدل.
- القسمُ الثالث: يبدأ من صفحة (٢٠١)، مباحثُ الوعد والوعيد، مباحثُ المَعاد عَبَّرَ عنها بالوعد والوعيد، وتعبيرهُ هذا يُذَكِّرني بما قالهُ العلّامةُ الحلّي عن الطوسي من أنَّهُ كانَ من المجموعة الوعيديّة، العلّامةُ الحلّي هو الَّذي ذكرَ هذا في كتابه الرجالي وسأقرأ ذلكَ عليكم..
القسمُ الثالث؛ مباحثُ الوعد والوعيد، هُو هُنا يتحدَّثُ عن المعاد بحسبِ المذْهَب الطوسي، وما تَحدَّثَ به الطوسي إمَّا أنَّ أخذهُ من الأشاعرة أو أن أخذهُ من المعتزلة وأضافَ إلى ما أخَذهُ عن الأشاعرة والمعتزلة، ما أخذهُ أيضاً من رموزِ الشيعة من أمثال الشريف المرتضى وغيره، أو ما أخذَهُ من الشَّيخ المفيد أيَّامَ ضلاله قبل اهتدائه إلى فناء وساحة إمامِ زمانه.
- القسمُ الرابع: مباحثُ النُبوّة، تبدأ في صفحة (٢٨٣).
- القسمُ الخامس: مباحثُ الإمامة تبدأ في صفحة (٣٥١)، وحينئذ ينتهي الكلامُ بخصوص المعتقدات.
- القسمُ السادس: الكلامُ في العباداتِ الشرعيّة، صفحة (٤٧٣) وما بعدها.
وبهذا ينتهي هذا الكتاب وليسَ من قسمٍ سابع، فهذه رسالةٌ عَمليّةٌ في باب الاعتقاد في المعتقدات، نَظَّمَ المعتقداتِ فيها وفقاً لأصولِ الدِّين الخَمسة، جاءنا بِها من الأشاعرة والمعتزلة.
نحنُ هكذا نقرأُ في دُعاء الغَيْبة، وهذا الدُّعاءُ وَرَدنا من النَّاحية المقدَّسة، هذا الدعاءُ جاءنا من إمامِ زماننا صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه فَهُو من جُملة التوقيعات المهدويَّة الشريفة، في مفاتيح الجنان: **اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي** - هذا الكلامُ ما جاء حينما قالَ الدُّعاء: (اللَّهُمَّ عرفني نَفْسَكَ فإنَّك إنْ لم تُعرفني نَفْسك ضَلَلتُ عَن ديني)، لماذا؟ لأن معرفة اللّه معرفةٌ فَرعيَّةٌ تَتفرَّعُ عن الإمام، الإمامُ هُو الَّذي يُعلِّمنا، الإمامُ هُو الأصل وهُوَ الَّذي يُعَرِّفُنا باللّه، وهُو الَّذي يُعرِّفُنا برسول اللّه.
قد تقولونَ: رسول اللّه هُوَ الَّذي يُعَرِّفنا باللّه؟
في مرحلة التَّنزيل، رسولُ اللّه سيُعَرِّفنا المعرفةَ المطلقة بحسبنا حينما تتحقَّقُ بعثتهُ ونُبوّتهُ متى؟ وتتجلَّى رِسالتهُ في أسمى معانيها في آخرِ عصر الرَّجعة العظيمة، في الدولة المُحَمَّديَّة الَّتي ستستمرّ خمسين ألف سنة الَّتي عُبِّر عنها في أحاديث أهل البيت؛ "بِجنَّة الدُّنيا، بِجنَّة الأرض"، هُناكَ تتجلَّى رسالةُ مُحَمَّدَ ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه**﴾، متى؟ على سبيل التمهيد عِندَ ظهور صاحب الأمر، لكن على سَبيل الحقيقة الكاملة في الدولة المُحَمَّديَّة العُظمى، من هُنا يتجلَّى لنا وتظهر لنا أهميةُ الرَّجعة في عقيدتنا.
- **اللَّهُمَّ لَا تُمِتْنِي مِيتَةً جَاهِلِيَّةً** - (مَنْ مَاتَ وَلَم يَعْرِف إمَامَ زَمَانه) ليسَ مَن ماتَ ولم يعرف اللّه! ليسَ مَن ماتَ ولم يعرف رسول اللّه، لماذا؟ لأنَّنا إذا عرفنا إمامَ زماننا عرفنا أَصلَ الدِّين، وحينما نعرفُ أصلَ الدِّين فإنَّنا سنعرفُ اللّهَ وسنعرفُ رَسُوله، منظومةٌ دِيننا واضحةٌ مُتماسكةٌ مُتناسقةٌ مُتَّسقةٌ، الضلالُ كُلُّ الضلال هُناكَ في حوزة النَّجف وكربلاء عندَ الطوسيّين سوّدَ اللّهُ تعالى وجوههم - **وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي**".
في الآية السابعة بعدَ البسملة من سورة آل عمران: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ** - الَّذينَ فِي قُلُوبِهم زَيْغٌ؛ الطوسي وأمثالهُ ولذا لم يعودوا إلى العترة في تفسير القُرآن - **ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِه** - يقولونَ نحن القادرونَ على تأويله على تفسيره - **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، الَّذينَ يتَّبعونَ الرَّاسخينَ في العِلم، نحنُ لا نستطيع أن نَتَّبع اللّه لأنَّنا لا نعرفهُ، ماذا نعرفُ عَن اللّه؟ لا نعرفُ شيئاً، كُلُّ ما جاءَ في أحاديث العترة الطاهرة وفي الخُطَب التوحيديّة كُلُّ ما جاءَ فيها حديثٌ عن صفات اللّه، عن صفات جَماله وجلاله وكَماله، وهذه الصِّفاتُ بُينت لنا بنحوٍ اعتباريٍ بمستوى عُقولنا، فنحنُ طريقنا إلى الرَّاسخين في العِلْم، هُم طريقهم إليه، لو كُنَّا قادرينَ أن نصلَ إلى اللّه لَمَا جعلَ الرَّاسخينَ في العلْمِ في الآية، لأنَّ اللّهَ يتأبَّى عن الإضافات، ذاتٌ مُتوحدة، وهذا كتابهُ وهو كتابُهم والدِّينُ يُؤخَذُ منهُم فقط، الَّذينَ يُفَسِّرونَ القُرآنَ بِغيرِ هذا المنهج هؤلاءِ كافرونَ بِحُكم القُرآن لأنَّهم ناقضونَ لبيعة الغدير..

هذا الزَّيغُ ليسَ عن اللّه، أساساً هُم لا يعرفونَ اللّه حتَّى يزيغونَ عن اللّه، إنَّهُم يَزيغونَ عن الرّاسخينَ في العلْم، "**فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**"، الزّيغ هُو الـمَيلُ والانحرافُ، هُم لا يَزيغونَ عن اللّه لأنَّهم لا يعرفونَ اللّه حتَّى يزيغوا عنه، وإنَّما الزَّيغُ كُلُّ الزَّيغ أين؟ الزَّيغُ كُلُّ الزَّيغ عَن عليٍّ الَّذي هُم فيهِ مُختلفون؛ ﴿**عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ - إِنَّهُ عليٌ - الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۞ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ**﴾.

الخللُ في معرفتنا بإمامِ زماننا يكونُ خللاً في كُلِّ ديننا، يكونُ خللاً في معرفتنا باللّه،

• **سأعرضُ لكم عقيدةَ الطوسي في إمامه؛** ما هي المعرفةُ الطوسيّةُ لـمُحَمَّد وآل مُحَمَّد؟ ما هي معرفةُ الطوسي لإمامِ زمانه؟

في الصفحة (٣٦٩)، من الكتا ب الَّذي أشرتُ إليه (الاقتصاد فيما يجبُ علىَ العبَاد)، الرِسالةُ العَمليّةُ العقائديَّةُ لـمُقلّدي الطوسي والَّتي اتُخذت برنامجاً ومنهجاً عقائدياً إلى يومنا هذا نقلوا عنها وأخذوا منها، الطوسي هكذا يقول: **وإنَّما قُلنا إنَّهُ يجبُ أن يكونَ أفضلَ فيما هُوَ إمامٌ فيه** - يتحدَّثُ عن الإمام المعصوم، يتحدَّثُ عن إمامِ زمانه، ماذا يُريدُ أن يقول؟ يُريدُ أن يقول من أنَّه لا يُشترطُ في الإمام المعصوم أن يكونَ الأفضلَ في كُلِّ شيء، وإنَّما هو الأفضلُ في دائرة ما هُوَ إمامٌ فيه، وهؤلاء يجعلونَ دائرةَ الإمامة ضَيِّقة بحدود الإفتاء في أمور الدِّين، في حدود ضَيِّقة أو في حدود القضاء في الخصومات أو في حدودِ الحُكومة بينَ النَّاس، أو أن يكونَ حاكماً شرعيّاً، فَهُم لا يُعطون للمعصوم دائرةً أوسعَ من هذه الدائرة.

يستمر الطوسي: **لأنَّهُ يجوزُ أنْ يكونَ في رعيّته مَن هُوَ أفضلُ منه فيما ليسَ هُو إمامٌ فيه ككثيرٍ من الصنائع وغيرِ ذلك، والـمُعتبرُ كونهُ أفضلَ فيما هو إمامٌ فيه** - فَفي رعيته من هُوَ أفضلُ منه! هذا إمام أبو الهلس يسمّونه هذا!! هذا إمام الطوسي، أي إمام هذا؟!

نستمر في القراءة صفحة (٣٧١) فيما يرتبطُ بالعلم: **ويجبُ أيضاً أن يكونَ الإمامُ عالماً بتدبيرِ ما هُو إمامٌ فيه** - فقط في الدائرة الَّتي تكونُ مُرتبطةً بشأنه الدِّيني، أصلاً مراجعُ النَّجف في كُتُبهم الفقهيّة المعروفة يتحدَّثونَ عن أنَّ الإمامَ ليس عالماً ببعض أحكام الدِّين وسأقرأُ هذا عليكُم..

- **من سياسة رعيّته والنَّظرِ في مصالحهم وغيرِ ذلكَ بِحُكم العقل** - العقلُ هكذا يحكُم - **ويجبُ أيضاً أن يكونَ بعدَ الشَّرعِ عالماً بجميعِ الشريعة** - يعني بعدَ وجود الشَّرع - **لكونه حاكماً في جميعها، ولا يلزُمُ إذا قُلنا إنَّهُ يجبُ أن يكونَ عالماً بما أُسندَ إليه أن يكونَ عالماً بما ليسَ هو إماماً فيه كالصنائع وغيرِ ذلك، لأنَّهُ ليسَ هو رئيساً فيها** - يعني حتَّى لو كانَ عالماً بهذه الصنائع فلا يُشترطُ أن يكونَ الأفضلَ فيها، يعني يمكن أن يعرف صنعةً من الصنائع الإمام المعصوم لكنَّهُ لن يكونَ الأفضلَ فيها لأنَّها ليست من شؤون إمامته، وكأنَّ الإمامةَ شيءٌ وكأنَّ الإمامَ شَيءٌ آخر - **ومتى وقع فيها تنازعٌ منَ أهلها** - حَدَث خلافٌ في الصنائع في الحرف في أيِّ مورد آخر - **فَفَرْضُهُ** - فَرضُ الإمامَ يجبُ على الإمام، صارَ الإمامُ مأموماً هُنا عند الطوسي الأغبر - **الرجوعُ إلى أهل الخبرة** - مثل ما يرجعون الشيعةَ إلى أهل الخبرة في تشخيص الأعلم الَّذي هو الأجهل والأغبى والأثول - **والحُكمُ بما يقولونه** - يُصبحُ محكوماً لحاكمٍ آخر وهُم أهلُ الخبرة، الإمامُ الَّذي هُو حُجَّةُ اللّه، ومَن قالَ من أنَّ أهل الخبرة سيكونُ كلامُهم صحيحاً؟! هذا يعني سيعبثونَ بالإمام، سيكونُ الإمامُ مَعْبَثاً لهم ولُعبةً لهم لأهل الخبرة، إلَّا إذا يرجع للمرجعيّة الإمام يروح يسأل المرجعيّة حتَّى المرجعيّة تعلمه، هو هذا دينكم؟! هذه الرسالةُ العَمليّةُ العقائديَّةُ الَّتي كتبها للشيعة الَّذينَ يُقلّدونهُ، هذا هو دينُ الـمَذْهَب الطوسي.

نستمرّ في قراءة هذا الضلال: **ولا يلزُمُ أيضاً أن يكونَ عالماً بصدق الشهود والـمُقرّينَ على أنفُسهم لأنَّهُ إنَّما جُعلَ إماماً في الحُكمِ بالظاهرِ دُونَ الباطن** - ولك دماغ سيز الإمام يُطالبُنا أن نُؤمنَ بظاهره وباطنه، والإمامُ يقولُ لنا: من أنَّ الدِّينَ لهُ ظاهرٌ وباطن وعليكُم أن تُؤمنوا بظاهر الدِّينِ وباطنه، والإمام يقول لنا: القُرآن لهُ ظاهر ولهُ باطن، ويعلِّمنا قواعدَ تفسيرِ القُرآن وفقاً للظاهرِ والباطن، والروايات تبيّن لنا الجانب الظاهر من الدِّين والجانب الباطن، شلون الإمام ما مُكلَّف بالظاهرِ والباطن؟!

- **وإنَّما يجبُ أن يكونَ الإمامُ عالماً بما أُسْندَ إليه في حالِ كونه إماماً، فأمَّا قبلَ ذلك فلا يجبُ أن يكونَ عالماً** - ويضربُ لنا مثالاً يقول: **ولا يلزُمُ أن يكونَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام عالماً بجميعِ الشرعِ في حَياة النَّبي صلَّى اللّهُ عليه وآله** - يعني حينما أرسلَ النَّبيّ أميرَ المؤمنين إلى اليمن لم يَكُن أمير المؤمنين عالماً بالشرعِ كُلِّه، إذا واجهتهُ مُشكلةٌ أو واجهت النَّاس مُشكلة فماذا سيصنع؟ لازم يروح إلى منهاج الصالحين الرسالة العمليّة مالت الخوئي، لو يروح لرسالة السيستاني، ما هذا الضراط يا مراجع الشيعة؟! ما هذا الضراط يا أيّها الشيعة؟! هذا هو دينكم.

الآيةُ الثالثةُ والأربعون من سُورة الرعد بعدَ البسملة وهي آخرُ آية في سورة الرعد: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾، عَليٌ هذا، ولك يا أثول، وهذه الآيةُ مَكيّةٌ وليست مَدنيّة، الشُهودُ عِلمُهم واحدٌ في القضيّة، الآية تُساوي بينَ عِلمِ اللّهِ وعِلْم أمير المؤمنين!

- **أو الحَسَنُ والحُسينُ** - لا يلزمُ أن يكونا عالمَين - **أو الحَسَنُ والحُسَينُ عَالمَينِ بجميعِ ذلكَ في حياة أبيهما** - لا يا طايح الحظ!! رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله حينما كانَ يقولُ عن الحَسنِ والحُسينِ في صِغرهما إنَّهما إمامانِ قَامَا أو قَعدا، ما معنى هذا الكلام؟! النَّبيّ صلّى اللّهُ عليه وآله في تكبيرة الإحرام شَرعَ إلى التكبيرة السّابعة -بحسبِ أحاديثنا - وفقاً لتكبيرات الحُسَين، شُرِعت التكبيراتُ السَّبعة في تكبيرات الإحرام وفقاً لموقف الحُسَينِ في الصَّلاة وكانَ صغيراً، هذا وأمثالهُ من مراجع السوء والضلال ذوله المطايا شفاهمين من الدِّين؟!

- **بل إنَّما يأخذُ المؤهَّلُ للإمامة العلْم ممَّن قبلَهُ شيئاً بعدَ شيءٍ ليتكامَلَ عندَ آخرِ نَفَسٍ من الإمام المتقدِّم عليه بما أُسْندَ إليه** - هكذا تعتقدونَ في أئمَّتكم؟! رسولُ اللّه يقول: (الحَسَنُ والحُسَين إمَامَان قَامَا أو قَعَدَا)، في كُلِّ أحوالهما، في صغرهما، وهذا طوسيكم يقولُ ما يقول!!

هُنا يتحدَّثُ الطوسي عن الأخبار المتواترة، صفحة (٣٦٨)، يقول: **ألا ترى أنَّهُ يَقْبُحُ من مَلك حكيم أن يجعلَ رئيساً في الخط مثل ابن مُقلة** - هذا خَطّاطٌ معروف ابنُ مُقلة زمنَ العباسيين - **وَنُظرائه مَن يَكتُبُ خُطوطَ الصبيانِ والبَقّالين** - يقول هذا أمر قبيح أن نجعلَ رَئيساً للخطّاطين مثل ابن مُقلة ونُظراء ابن مُقلة من الخطّاطين الكبار المبدعين أن نأتي بشخص من هؤلاء الَّذينَ يكتبونَ بمستوى خُطوط الصبيان والبقّالين - **ويجعلَ رئيساً في الفقه على مثل أبي حنيفة والشافعي وغيرهما** - هذا المثال الَّذي يتبادَر إلى ذهنه!! باعتبار أنَّ هؤلاء يُمثّلونَ الدرجةَ الأولى في الفقه والعلْم، قد أقولُ هذا مثالٌ، ولكن لماذا يُكرره؟ ولو كانَ هُناكَ مجالٌ لتكراره لكرّرهُ.

في الصفحة (٣٩٨): **وكما عُلمَ فقهُ أبي حنيفة والشافعي ومالك وأنَّهُ لم يتقدَّمهم أحد** - "لم يتقدَّمهم"؛ يعني لم يتفَوّق عليهم، هذه أمثلةٌ هو لا يتحدَّثُ عن فقههم هُنا، إنَّما هي أمثلةٌ جِئتُ بها مصداقاً لكلام أمير المؤمنين؛ "من أنَّ ما في الجَنان يظهر على فلتات اللسان"، قرأتُ ما قرأتُ عليكُم كيفَ يتحدَّثُ عن أمير المؤمنين وعن الحَسنِ والحُسين ومن أنَّهم لا يعلمونَ الشَّرعَ كُلَّهُ قَبلَ إمَامَتهم، هذا الكلام قالهُ المفيد في كتابه (تصحيح الاعتقاد)، هذا أخذَ من هُناك ولكن هذا بقي على ضلاله وذاك اهتدى، تَذكَّروا ماذا قالَ إمامُ زماننا في الرسالة الأولى الَّتي وصلت إلى المفيد: (**مُذْ جَنَحَ كَثِيرٌ مِنْكُم** - بما أنتَ من جُملتهم يا أيُّها المفيد ولكنَّك اهتديتَ!! - **إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعاً وَنَبَذُوا العَهْدَ الْمَأْخُوذَ مِنهُم وَرَاء ظُهُورِهِم كَأَنَّهُم لَا يَعْلَمُون**)، هؤلاء استمروا على ذلكَ النَّهج البعيدِ عن نهجِ السَّلفِ الصَّالح.

كتابٌ آخر من كُتبِ الطوسي؛ "تلخيصُ الشَّافي".

الشَّافي أساساً هو كتابٌ للشريف المرتضى (الشَّافي في الإمامة) يُناقشُ أقوالَ المعتزلة وغيرهم في موضوع الإمامة، لخَّصَهُ الطوسي/ الطبعةُ الَّتي قَدَّمَ لها حسين بحر العلوم/ مُؤسَّسةُ انتشارات المُحبين/ الطبعةُ الأولى/ المجلَّدُ الَّذي يشتملُ على الجزأين الأوَّل والثاني/ صفحة (٢١٤)، هذه عقائدهُ: **وممَّا يدلُّ أيضاً على أنَّ الإمامَ يجبُ أن يكونَ أكثرَ ثواباً من رعيّته** - فهو في حالة سباقٍ معَ الرعيّة كي يكونَ أكثرَ ثواباً منهم، فَهُمْ سطحيٌّ وساذجٌ إلى أبعد الحدود للدِّينِ ولمقام الأئمَّة صلواتُ اللّه عليهم - **أنَّا قد دَلَّلْنَا على أنَّ قولَهُ حُجَّةٌ في الشرع، وإذا ثبتَ ذلك وَجبَ أن يُنْفَى عنهُ ما يَقدَحُ في ذلكَ ويُنَفِّرُ عنه، ونحنُ نَعلَمُ أنَّ النَّاسَ إذَا قطعوا على أنَّهُ ليسَ في رعيّته مَن يَفضُلُهُ في الثوابِ أو يُساويه في ذلك كانوا أسكنَ إلى قَبولِ قولِه والانقياد لأمره ونَهيه منهُم إذا قطعوا أو جَوَّزوا أن يكونَ في رعيّته مَن يَفضُلُه في الثوابِ أو يُساويه** - منطقٌ سخيفٌ إلى أبعد الحدود ويكشفُ عن جهلٍ مُطبَقٍ في معرفة مَقامات الأئمَّة صلواتُ اللّه وسلامهُ عليهم أجمعين.

هذا الطوسيّ الأثولُ ألا يقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة، في مَفاتيح الجنان، في أوائل الزيارة نحنُ نُسَلِّمُ عليهِم: (**السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللّه وَمَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللّه**)، حينما نَصِفُهم بهذا الوصف من أنَّهُم مَسَاكِنُ بركة اللّه، بركةُ اللّه ماذا تعني؟ عطاؤهُ المتزايدُ، والَّذي هو في حالة من التزايُد وهُوَ صادرٌ عن جهة مُتكاملة، هذه الجهةُ المُتكاملةُ هي مَساكنُ تلكَ البركة، مَساكن إنَّها ساكنة مُستقرَّة وتستقرُّ فيها البركة، مثلما نُخاطبُ رسولَ اللّه صلَّى اللّهُ عليه وآله في زياراته من أنَّهُ صاحبُ الوَقَارِ والسَّكينة، ذاتٌ مُستقرَّةٌ هكذا نُخاطبهم في الزيارة الجامعة الكبيرة: (**السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللّه وَالأَدِلَّاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللّه وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللّه**)، ذواتٌ مُستقرَّة يا صَاحب الوَقَارِ والسَّكينة يا أبَا الزَّهْراء، هُم الَّذينَ نُخاطبهم: (**لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا** - هؤلاء هُمَ - **إِلَّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُك**)، هُم ذَواتٌ مُستقرَّةٌ تَجلَّى اللّهُ فيها، هَذا المنطقُ الضَّحلُ هذا منطقٌ مَرحاضيٌ، هذه عُقولٌ مَرحاضيَّةٌ لأنَّها تأخُذُ طعامها من العيون الكَدِرة القَذِرة، دينُ الطوسيّين دينٌ أخذوهُ من الأشاعرة والمعتزلة.

- **وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّة اللّه**)، ذواتٌ تامَّة لا مَجالَ فيها للاستزادة والزيادة لأنَّ اللّهَ سُبحانهُ وتعالى حكيمٌ فحينما فاضَ عليهِم بتمامِ فَيضه فَهل يُمكنُ أن يَكونَ الفَيضُ زائداً عليهِم أو ناقصاً عنهُم؟! هذا يُخالفُ حكمة اللّه، فلابُدَّ أن يكونوا تامِّين، وهُم المظهرُ الأتمّ إذا أردنا أن نُقايس فيما بينَ المخلوقات، (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كَلِمَاتِكَ بِأَتَمِّهَا وَكُلُّ كَلِمَاتِكَ تَامَّة اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكَلِمَاتِكَ كُلِّهَا)، الكلماتُ الأتم هُم، "أتمّ"؛ وصلوا إلى النهاية.

أعودُ إلى الرسالةَ العمليّة العقائديَّة للطوسي (الاقتصاد فيما يجبُ على العباد)، صفحة (٢٣٣)، وهُوَ يتحدَّثُ عن الشَّفاعة، عن شفاعة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، قطعاً هو لم يتحدَّث عن آل مُحَمَّد وإنَّما تَحدَّثَ عن النَّبي فقط: **وأيضاً فلا خلافَ بينَ الأمَّة أنَّ للنَّبي صلَّى اللّهُ عليه وآله شفاعةً وأنَّهُ يشفع** - فلمَ يُشر إلى آل مُحَمَّد في العنوان - **والشَّفاعةُ حقيقتُها في إسقاط المضارِّ المستحقَّة** - "المضارّ المستحقَّة"؛ هُناكَ ضَررٌ سيكونُ لاحقاً بي مرتبطاً بي أنا أستحقُّهُ بسببِ سوء أعمالي - **فَوجبَ من ذلكَ القَطعُ على جواز العفوِ عن مُستحقِّ العقابِ من أهل الضلالة بل على وقوع ذلكَ بجماعةٍ غير مُعيّنين من حيثُ علمنا وقوعُ شفاعته وأنَّها حقيقةٌ في إسقاط المضارّ دُونَ زيادة المنافع** - بقي دينُنَا رَهيناً ما بينَ الأشاعرة والمعتزلة!

المعتزلةُ يقولونَ: (من أنَّ الشَّفاعةَ هي لإسقاط المضارّ وزيادة المنافع)، هذا قولُ المعتزلة.

قولُ الأشاعرة: (من أنَّ الشَّفاعة هي لإسقاط المضارِّ فقط).

الطوسي يذهبُ إلى رأي الأشاعرة!!

أنا أقول: ما علاقتُنا بالأشاعرة وما علاقتُنا بالمعتزلة أصابوا أم أخطأوا؟! العترةُ الطاهرة ماذا تقول؟! لماذا أنتَ تذهبُ إلى جهة الأشاعرة وتُناقشُ المعتزلة؟

أنا أقولُ للطوسي: ماذا تقولُ عن هذه الآية إنَّها الآيةُ السبعون بعدَ البسملة من سورة الفرقان: ﴿**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾، تبديلُ السيئات إلى حسنات أليست هي من الزيادة في المنافع ومن أعظم المنافع؟! لو قَالت الآيَةُ من أنَّ اللّه تجاوزَ عن سيِّئاتهم هذا دَفعٌ للمضارّ، ولكنَّ الآيةَ تقول: من أنَّ اللّه يُبدِّلُ السيئات ويحوِّلُها إلى حسنات، وهذه الآيةُ إذا نظرنا إلى ما قبلها فإنَّها تتحدَّثُ عن يوم القيامة، فإنَّ ما قبلها: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً** - الَّذي يَقتُلُ يَزني - **يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً** ۝ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾، أمَا قرأتَ القُرآن يا مُفَسِّرَ القُرآن يا بطلَ الأبطال أيُّها الطوسي؟!

- **والَّذي يدلُّ على أنَّ حقيقتَها ما قُلناه أنَّها لو كانت حقيقةً في زيادة المنافع لكانَ الواحدُ منَّا إذا سألَ اللّهُ تعالى أن يَزيدَ في كرامات النَّبي ورفع درجاته أن يكونَ شافعاً فيه** - ما هذا الهُراء؟! أساساً هو هذا الكلامُ كلامٌ صحيح من أنَّنا نكونُ سبباً في زيادة كرامات النَّبي ورفع درجاته؟!!

- **وأحدٌ من المسلمينَ لا يُطلقُ ذلك لا لفظاً ولا معنى** - وكأنَّ المسلمينَ إذا أطلقوا شيئاً أو لم يُطلقوا شيئاً كأنَّ ما يصدرُ عن المسلمينَ حُجّةٌ، هذا توسّعَ بنحو هو أكثرَ ممَّا عليه في سقيفة بني ساعدة، في سقيفة بني ساعدة حصروا الأمرَ بالصحابة، حصروا الأمرَ بأهل المدينة، هذا جعلَ الأمرَ في كُلِّ المسلمين، ولذا فإنَّ سقيفة بني طوسي أقذرُ وألعَنُ وأضلُّ من سقيفة بني ساعدة - **وأمَّا تَناولُها لإسقاط المضارّ فلا خلافَ أنَّها حقيقةٌ في ذلك** - هذه كإجماعاته، معروفٌ عن الطوسي في كتاب (الخلاف)، ينقلُ إجماعاً على شيء وفي كتاب (المبسوط)، ينقلُ إجماعاً على شيء يُخالفُ ذَلكَ الشيء، إجماعات مُتناقضة هُو هكذا يُطلقُها..

في زيارة صاحب الأمر:

في (مفاتيح الجنان)، من الزيارة الَّتي أوَّلُها: (**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيْفَةَ اللّه وَخَلِيْفَةَ آبَائِه الْمَهْدِيِّين**)، هكذا نُخاطبُ الإمام: **رَضِيْتُكَ يَا مَولَايَ إِمَامَاً وَهَادِياً وَوَلِيّاً وَمُرْشِدَاً** - إلى أنْ نقولَ للإمام صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: **وَأَنْتَ الشَّافِعُ الَّذي لَا يُنَازَعَ وَالْوَلِيُّ الَّذي لَا يُدَافَع** - وأنتَ يا صاحبَ الأمر.

ونستمرّ في الزيارة: **أَشْهَدُ أَنَّ بِوَلَايَتِكَ تُقْبَلُ الأَعْمَال وَتُزَكَّى الأَفْعَال** - تُزكَّى في حالة نُمو، في حالة زيادة - **وَتُضَاعَفُ الحَسَنَاتَ وَتُمْحَى السّيئات.**

- "تُمْحَى السّيئات"؛ هذا إنقاص للمضار.

- ولكن "تُقْبَلُ الأعْمَال"؛ هذا ما هُوَ إنقاصٌ للمَضارّ هذه زيادةٌ في المنافع.

- "وَتُزَكَّى الأفْعَال"؛ هذا نموٌ زكاةٌ في الأفعال.

- "وَتُضَاعَفُ الحَسَنَات"؛ هذه زيادَةٌ في المنافع.

فَنُلاحظُ أنَّ الزيارةَ تتحدَّثُ عَن أنَّ زيادةَ المنافع أكثرُ من إسقاط المضارّ؛ (**فَمَنْ جَاء بِوَلَايَتِك وَاعْتَرَفَ بِإِمَامَتِك قُبِلَتْ أَعْمَالُه وَصُدِّقَت أَقْوَالُه وَتَضَاعَفَت حَسَنَاتُه وَمُحِيَت سَيِّئَاتُه**)، واضحٌ أنَّ زيادةَ المنافع تُذْكَر بنحوٍ أكثر من إسقاط المضارّ، وهذه هي شفاعةُ الإمامِ المعصوم (وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم)، ما نحنُ نقرأ في روايات الشَّفاعة من أنَّ الأئمَّةَ يقولونَ لَنا في يوم القيامَة: "ما بَينَكُم وبينَ اللّه نذهبُ إلى اللّه نَمشي إلى اللّه ونَتشفَّعُ فيكُم فتُقبَلُ شفَاعَتُنَا، وما بَينَكُم وبينَ النَّاس نُعطي النَّاس حَتَّى يرضوا عَنكُم"، إنْ كانَ النَّاسُ من أعدائكم أم من أصدقائكم إنَّنا نُعطيهم، هذا العطاءُ زيادةٌ في منافع الَّذينَ يُعطى لَهُم، قد يكونُ في بعض الأحيانِ

إسقاطاً للمضارّ ولكنَّهُ أ يضاً يكونُ في أحيانٍ أُخرى في جهةِ زيادة المنافع، فمصاديقُ زيادة المنافعِ في الشَّفاعةِ وشُؤونها أكثرُ من مصاديقِ إسقاطِ المضارّ، هذا الطوسيّ ماذا قرأ من القُرآن وماذا فَهِمَ منه، وماذا قرأ من الزيارات والأدعية وماذا فَهِمَ منها؟

دُعاء التوسُّل، هذا الدُّعاء الَّذي تقرأهُ الشيعةُ دائماً: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّد صَلَّى اللّهُ عَلَيه وَآله، يَا أَبَا القَاسِمِ، يَا رَسُولَ اللّه، يَا إِمَامَ الرَّحْمَة، يَا سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا، إِنَّا تَوَجَّهْنَا وَاسْتَشْفَعْنَا وَتَوَسَّلْنَا بِكَ إِلَى اللّه وَقَدَّمْنَاكَ بَيْنَ يَدَي حَاجَتِنَا، يَا وَجِيهاً عِنْدَ اللّهَ اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ اللّه** - ويستمر الدُّعاء مع كُلِّ المعصومين بهذه الصيغة معَ الأئمَّة المعصومينَ الأربعة عشر، الزَّهراء من بينهم في آخر الدُّعاء: (**يَا سَادَتِي وَمَوَالِيَّ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكُمْ أَئِمَّتِي وَعُدَّتِي**)، الزَّهراءُ إمام لا كما يقولُ لَكُم الطوسيّون، فأَنتُم تتوسَّلونَ بالزَّهراء أيضاً مثلما تتوسَّلونَ برسول اللّه وأمير المؤمنين وسائر الأئمَّة؛ **يَا فَاطِمَةُ الزَّهْرَاء، يَا بِنْتَ مُحَمَّد، يَا قُرَّةَ عَيْنِ الرَّسُول، يَا سَيِّدَتَنَا وَمَوْلَاتَنَا، إِنَّا تَوَجَّهْنَا وَاسْتَشْفَعْنَا وَتَوَسَّلْنَا بِك إِلَى اللّه وَقَدَّمْنَاك بَيْنَ يَدَي حَاجَاتنَا يَا وَجِيهَةً عِنْدَ اللّهَ اشْفَعِي لَنَا عِنْدَ اللّه** - العبائرُ هي هي الَّتي استعملناها معَ رسول اللّه معَ أمير المؤمنين مع سائرِ الأئمَّة استُعملت مع الصدِّيقة الطاهرة وجاء ترتيبها بعدَ أمير المؤمنين، وفي آخر الدُّعاء هكذا نقول: (**يَا سَادَتِي وَمَوَالِيَّ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكُمْ أَئِمَّتِي وَعُدَّتِي**)، هَلْ تُخرِجُونَ الزَّهراءَ من هذهِ العبارة يا ثولان يا نوابغ يا أذكياء يا عباقرة وتقولونَ من أنَّها ليست إماماً؟! من طيّح اللّه حظ دينكم يا أيُّها الطوسيون.

هذه العبائرُ تتحدَّثُ عن الشَّفاعة وبشكلٍ متكرر (إِنَّا تَوَجَّهْنَا وَاسْتَشْفَعْنَا)، (يَا وَجِيهاً عِنْدَ اللّه اشْفَع لَنَا عِنْدَ اللّه)، في أيِّ شيء؟ (وَقَدَّمْنَاكَ بَيْنَ يَدَي حَاجَاتِنَا)، الحاجاتُ عندَ الإنسان في زيادة المنافعِ أكثرُ من حاجاتهِ في إسقاط المضارّ، صحيحٌ أنَّ الإنسانَ يبدأ بإسقاطَ المضار، لكنَّهُ في جهَة المنافعِ لا يتوقَّف..

في دُعاء السَّجدة في زيارة عاشوراء:

في (مفاتيح الجنان): (**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الحُسَينِ يَوْمَ الوُرُود**)، وفي السياق نَفسه: (**وَثَبِّت لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الحُسَين** - هذه زيادةٌ في المنافع أم أنَّها إسقاطٌ للمضارّ؟ - **وَأَصْحَاب الحُسَين**)، ثَبِّت لِي قَدَمَ صِدقٍ عِندَكَ معَ الحُسَين هذا إسقاطٌ للمضارّ أو جلبٌ للمنافع في أقصى ما يُمكنُ أن يُتَخيّل وفي أبعدِ ما يمكنُ أن يتصوّر؟!

أعودُ إلى الطوسي لإكمال كلامه بخصوص الشَّفاعة: **وأمَّا تَناولُها لإسقاط المضارّ فلا خلافَ أنَّها حقيقةٌ في ذلك** - على أيِّ أساس وأنتَ تُخالفُ القُرآنَ وتُخالفُ أهلَ الدِّين الَّذين هُم مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّد؟! - **ولو سَلَّمنا أنَّها حقيقةٌ في الأمرين لَخَصَّصْناها أو خَصَّصْناها** - **لَخصَصْناها بإسقاط الضَّرر لقوله صلَّى اللّهُ عليه وآله: "ادَّخرتُ شَفاعَتي لأهلِ الكَبائرِ من أُمَّتي"، وفي خبرٍ آخر: "أعدَدتُ شفاعتي لأهلِ الكَبائرِ من أُمَّتي"، وهذا خبرٌ تَلَقَّتهُ الأُمَّةُ بالقَبُول، فلا يُمكن أن يُقال إنَّهُ خبرٌ واحد** - وماذا نصنعُ بالآيات والأحاديث والأدعية والزيارات الكثيرة؟!

آلُ مُحَمَّد وضعوا لنا مقياساً لمعرفة الرِّجال: (اعْرِفُوا مَنَازِلَ شِيعَتِنَا عِنْدَنَا بِقَدْرِ مَا يُحْسِنُونَ من رِوَايَتِهِم عَنَّا وَفَهْمِهِم مِنَّا)، أسألُكُم باللّه وبِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد أينَ تضعونَ هذا الغبي الأثول في أيِّ مكان؟!

في (صفات الشيعة) للصّدوق، الحديثُ التاسعُ والستون بحسبِ تسلسل الأحاديث في هذا الكتاب: (**عَن إِمَامنا الصَّادق صَلواتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيه: لَيْسَ من شَيعَتنَا مَنْ أَنْكَرَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاء؛ الـمعْرَاج** - إنَّهُ معراجُ النَّبي صلَّى اللّهُ عليه وآله - **وَالْمُسَاءَلَةُ فِي القَبْر وَخَلْق الجَنَّة وَالنَّار وَالشَّفَاعَة**)، إنَّهُ يتحدَّثُ عن شفاعة كاملةَ لـمُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلواتُ اللّه وسلامهُ عليهم أجمعين، وحديثٌ عن شفاعة بِكُلِّ أفاقها في دفع المضارِّ وجلب المنافع، هذه هي الشَّفاعةُ الَّتي نُؤمنُ بها، وشفاعتُهم ليست في الدُّنيا فقط، وشفاعتُهم ليست في القيامة فقط، شفاعتُهم تكونُ في الدُّنيا أيضاً، وتكونُ عندَ الاحتضار، وتكونُ في القبرِ وفي عالم البرزخ، شفاعتُهم شفاعةٌ مُطلقة، (وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم)، (إِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُم وَحِسَابُهُم عَلَيْكُم)، هذا الإيابُ والحسا ب ليسَ محصوراً بيوم القيامة وإنَّما في كُلِّ ثانية من الثواني، بل في كُلِّ آنٍ من الآنات الَّذي لَا نستطيعُ أن نُشَخِّصهُ بِ الدقائقِ والثواني إنَّها آناتُ الوجود، فيَ كُلِّ آنٍ من آنات الوجود في كُلِّ ثانية وما هو أقلُّ من الثواني بحسابِ زماننا المحسوسِ في عالَمنا الأرضي.